

# المبحث الرابع

## التداوى وحكم التداوى بالدم

**المطلب الأول:**

توجيهات الشريعة للحفاظ على نعمة العافية.

**المطلب الثانى:**

توجيهات الشريعة للحفاظ على الصحة النفسية عند  
المرض.

**المطلب الثالث:**

التداوى فى القرآن الكريم والسنة.

**المطلب الرابع:**

حكم التداوى (مسألة خلافية).



## توطئة:

الإنسان.. ذلك المخلوق الناطق المؤيد من قِبَل خالقه سبحانه، فمنحه نعمة التعرف على النعم والقدرة على اختيار النافع وتجنب الضار، وكلها من أبواب الهداية. الإنسان ذلك المزود بكَمالات في الخَلْق والصورة، وعطايا تؤهله للعيش مثل عيش أهل الجنة، ومنح وهبات تعمل بمقتضى مشيئة الله تعالى. فالإنسان بمقدوره أن يحيا بجزء من الكبد ونصف كلية وجزء من المخ وبرغم ذلك زوده الله بالكَمالات والأعواض لعلمه سبحانه بمن خَلَقَ فقد يُسئ اختياراً، وقد يقع في برائن معصية. كما زودَ ببوابات وحصون منيعة وأجراس خطر تتولى حمايته من جحافل الميكروبات، ولن يدرك قدر تمام النعم إلا من افتقد إحداها فالصحيح لا يستشعر حلاوة الصحة وأمان العافية إلا إن تجرَّع سقاء المرض. وكم من نِعَم تُهدر على أعتاب المحرّمات، وكم من محروم بات محسوراً مهموماً يرجو لو أعاد الله له نعمة العافية وفسحة الأيام ليكون له شأن آخر. وفي الحديث الشريف «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحَّةُ والفِرَاقُ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ج١ ص ٤٩٤، وأخرجه الترمذى وابن ماجه فى كتاب الزهد.

وأيضاً يقول أحد الصالحين: «النَّعْمُ على الإنسان ثلاثٌ: نعمةٌ مَصَّتْ، ونعمةٌ يرجوها، ونعمةٌ هو فيها ولا يشعر بها. والمؤمن من عرف نعمة الحاضرة فأعطاه الله من شكره قيداً يقيدُها به؛ فإن النَّعْمَ تزولُ بالمعاصي وتدومُ بالشكر».

### التعريف بالتداوى:

التداوى هو تعاطى الدواء، وأصله: دوى يدوى دويماً أى: مرض. وأدوى فلاناً أى: أمرضه. فهي من أَلْفَاظِ الأَضْدَادِ التي تحتمل الشيء ونقيضه، كالشراء التي تعنى البيع والشراء، كما فى قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾<sup>(١)</sup> وكلفظ «القرء» التي تعنى الحيض والطهر، كما فى قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيداوى - أيضاً -: يعالج، ويداوى بالشيء أى: يعالج به، والدواء والداء: ما داويته به. ولا يخرج استعمال الفقهاء عن هذه المعانى<sup>(٣)</sup>.

### المداداة اصطلاحاً:

رد الجسم إلى مجراه الطبيعى بعد خروجه عنه بالمرض. وللإسلام نظرتة التقدمية إلى التداوى والتطبيب. ويكفى أن الرسول ﷺ منع كل تداوٍ قائم على المعتقدات الخاطئة كمس الشياطين والتطير ومن

(١) سورة يوسف: ٢٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (دوى)، ومختار الصحاح والمعجم الوسيط.

ذلك وصيته لسعد بن أبي وقاص بأن يستدعى طبيباً معالجاً حيث قال: «إنك رجلٌ مَفْوودٌ فأتِ الحارثَ بنَ كِلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ فإنه رجلٌ يُطِيبُ»<sup>(١)</sup>. كما وضع الإسلام منهجاً رائداً في معالجة الأمراض المعدية، وهو ما يعرف الآن بالحَجْرِ الصَحَى. من ذلك إشارته الخالدة في قوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا». وقوله كذلك: «لَا يُورَدَنَّ مُرْمِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»<sup>(٢)</sup>. أين هذا من الأمر بالفرار الذي صدر في فلورنسا عام ١٣٤٨م عندما ظهر الطاعون وكان الناس في المناطق الموبوءة يؤمرون بالفرار منها بأسرع ما يمكنهم وإلى أبعد ما يستطيعون فما كان نتيجة ذلك إلا انتشاراً للوباء قضى على ربع سكان أوروبا؟!

هذا وقد عُرِفَتْ في صدر الإسلام أنواع عديدة من المعالجات، منها الفصد والحجامة والكيّ ومعالجة العيون والصرع، حتى فن الجراحة عُرِفَ في صدر الإسلام ومارسته امرأة تدعى رُفيدة الأسلمية. كل ذلك وغيره يُبرز المتجّهَ التقدّمي. . هذا وقد أولت الشريعة قصارى جهدها لرعاية المسلم والحفاظ على سلامته كما عمدت إلى إعداده نفسياً لتقبُّل أمر الله إن ألمَّ به المرض. واستكمالاً للفائدة فقد جعلت هذا المبحث في مطالب أربعة هي:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤ / ١٩٢.

(٢) رواه البخارى في صحيحه - كتاب الطب.

المطلب الأول: يدور حول توجيهات الشريعة للحفاظ على نعمة العافية.

المطلب الثاني: يدور حول توجيهات الشريعة للحفاظ على الصحة النفسية للمرضى وتقبلُ أمر الله.

المطلب الثالث: التداوى فى القرآن الكريم والسنة.

المطلب الرابع: التداوى، وأقوال الفقهاء فيه.

### توجيهات الشريعة للحفاظ على نعمة العافية

#### ١- العافية في مبتدأ سلم النعم،

بالدعاء الذي لا ينقطع سؤال الله دوام العافية. وفي الحديث الشريف «سأل الله مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ»<sup>(١)</sup> و«سَلُوا اللَّهَ دَوَامَ الْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ وَالْمُعَافَاةِ»<sup>(٢)</sup>، وأيضاً عن أبي بكر - رضى الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ وَالْمُعَافَاةَ فَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ»<sup>(٣)</sup>، وفيه أيضاً «اللهم إني أسألكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، وأيضاً «مَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ».

#### فالعافية في مبتدأ سلم النعم فهي مفتاح الرزق وبوابة العمل

- (١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب المسافرين (٢٧٤)، وذكره أبو داود (٢٢) والنسائي في الجنائز (١٠٣) وذكره كذلك أحمد بن حنبل في مسنده.
- (٢) أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب الجهاد (١١٢، ١٥٦)، وفي المغنى (٨) وأخرجه مسلم في الجهاد (٢٠) وأبو داود في الجهاد (٨٩) والترمذى في الدعوات (٨٤)، (١٠١، ١٢٨) وابن ماجه في كتاب الدعاء باب (٥) والدارمى في باب السير (٩٦) وأحمد بن حنبل في مسنده وله روايات عديدة.
- (٣) أخرجه ابن ماجه في سنته - كتاب الدعاء باب (٥) وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده.

والإنتاج، وعلى قدر السلامة من الآفات والأمراض يكون الترقى بالعمل والإنتاج. لهذا كان الحرص عليها واجباً ورعايتها أمراً حتمياً.

## ٢. الاعتدال:

ولما كان حفظ العافية موقوفاً على حسن تدبير ما يتناوله الإنسان من مطعم ومشرب كما أنه موقوف أيضاً على المسكن الصحي وقيامه ومنامه وجهده، هذا بالإضافة إلى قدرته على النكاح والاستفراغ والاحتباس.. ولو تم كل هذا على وجه الاعتدال مع اتساقه مع السن كان أقرب إلى دوام الصحة أو غلبتها حتى انقضاء الأجل..

فالمعلوم أن الجسم يتعرض لمراحل هدم وبناء فهو دائماً في حاجة إلى التزود بما يسد الاحتياج من طعام وشراب من غير إسراف أو تقتير فكان الأمر بالإباحة والاعتدال.. لهذا وضع المشرع الحكيم الضوابط التي تضمن صيانة الصحة والعافية وذلك من خلال آيات تُتلى، منها قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ (١) ومنها قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٢) ومنها قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ (٣) وها هو الهدى النبوي يقدم دليلاً دامغاً على حضارة هذا الدين وشموليته

(١) سورة طه: ٨١.

(٢) سورة الأعراف: ٣١.

(٣) سورة الأحقاف: ٢٠.

لكل ما يتعلق بما يصلح للإنسان حياته كلها، ومن ذلك قوله ﷺ: «نحن قومٌ لا نأكلُ حتى نجوعَ وإذا أكلنا لا نشبعُ». بحسب ابن آدمَ لقيماتٌ يُقْمَنُ صَلْبُهُ، فإن كانَ لا مَحَالَةَ فثَلثُ لُطْعَامِهِ وَثَلثُ لِشْرَابِهِ وَثَلثُ لِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: «ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءَ شراً من بطنِهِ» ومنها حديث الرسول ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالبِطْنَةَ فَإِنَّهَا مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ مَوْرَثَةٌ لِلسَّقَمِ مَكْسَلَةٌ عَنِ العِبَادَةِ». فالإسرافُ فى تناول المباحات - بما يفوق القدرة وبما يفوق مقدار ما تحل - يضعف قدرة الجسم على التخلص من الفضلات التى تتحول بدورها إلى مواد ضارة بالصحة.

### ٣- رِيط الحلال بالطيبات،

كذلك رَغِبَت الشريعة فى كل ما هو طيب فى المأكل والمشرب وفيما يتعلق بالكسب الذى يؤول إلى مطعوم، فدعت إلى ذلك فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها - على سبيل المثال لا الحصر - قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى أيضاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن

(١) أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب الزهد - باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل حديث رقم (٢٣٨٠) وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الأَطْعَمَةِ - باب الاقتصاد فى الأكل وكراهية الشبع حديث رقم (٣٣٤٩) ص (١١١١) وأخرجه الحاكم فى المستدرک. وقال الذهبى: صحيح.

(٢) سورة المائدة: ٨٧.

طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴿١﴾ ، وايضاً: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقوله كذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ ﴿٣﴾ ، وايضاً: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ﴿٤﴾ .

#### ٤- ربط التحريم بالضرر:

كذلك ربط التحريم بالضرر، وقد ثبت أن كل ما ثبت ضرره ثبتت حرمة. فالله - سبحانه - أعلم بخلقه، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿٥﴾ ومن ذلك تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير في المأكولات كما في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ... ﴾ ﴿٦﴾ ، وقوله في تحريم المسكرات وكذلك الاشتغال بالمحرم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

(١) سورة البقرة: ١٧٢ .

(٢) سورة المائدة: ٤ .

(٣) سورة المؤمنون: ٥١ .

(٤) سورة غافر: ٦٤ .

(٥) سورة الملك: ١٤ .

(٦) سورة المائدة: ٣ .

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ  
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾

وفى الحديث الشريف: «مَنْ لَعِبَ بِالرُّدْشِيرِ<sup>(٢)</sup> فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ  
فِي لَحْمِ الْخَتَزِيرِ وَدَمِهِ».

وبرغم وضوح الآية الكريمة فى تحريم الخمر واجتنابها وُجد من  
يخالف مقتضى التحريم ويدعى أن العلة فى التحريم ليست الإسكار  
وإنما لما قد يترتب على الإسكار من ارتكاب محظور وعلى ذلك فَمَنْ  
أَمِنَ ارتكاب محظور فلا بأس من احتسائها، وفى هذا المعنى يقول  
الشاعر:

أَدْرَهَا فَمَا التَّحْرِيمُ فِيهَا لِذَاتِهَا      وَلَكِنْ لِأَشْيَاءِ تَضَمَّنَهَا السُّكْرُ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْخَمْرِ صَدٌّ عَنِ الْهُدَى      فَسَيَّانَ مَاءٌ فِي الزُّجَاجَةِ أَوْ خَمْرُ

اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله!

## ٥- الأمر بالنظافة والطهارة:

وفى مقام حفظ الأبدان اتبع المنهج القرآنى أسلوباً علاجياً متفرداً  
فالوقاية خير من العلاج وأولى دعائمها الطهارة والنظافة والتخلى عن

(١) سورة المائدة: ٩٠، ٩١.

(٢) الرُّدْشِيرُ: لعبة ذات صندوق وحجارة وقصين، تعتمد على الحظ، وتُنقل فيها الحجارة  
على حسب ما يأتى به الفص (الفص = الزمر). وتُعرف عند العامة بـ (الطاولة) -  
المعجم الوسيط (مادة: نرد).

كل مستقذر، وفى النظافة حماية للجسم من الأمراض الفتاكة والعدوى فكان الأمر بالطهارة قرين الإيمان فى مبتدأ الدعوة؛ يقول تعالى: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ (١) ويقول رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» (٢) وليس المقصود - من طهارة الثوب - الظاهر فقط، وإنما المقصود الغلاف الجلدى والغطاء المحسوس الظاهر.

ثم تتوالى التشريعات التعبدية من وضوء واغتسال، فلا صلاة بغير وضوء ولا عبادة بغير اغتسال من كل حدث أكبر، وما ذلك إلا حماية للصحة العامة؛ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (٣) ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ (٤) كذلك بينت الشريعة المحكمة ما يجب على المسلم أن يتبعه من سنن الفطرة؛ محافظة على الصحة العامة. من ذلك - أيضاً - حديث عائشة - رضى الله عنها - الذى جاء فيه أن سنن الفطرة عشر هى: «قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسُّوَّاءِ وَاسْتِنشَاقُ المَاءِ وَقَصُّ الأظْفَارِ وَغَسْلُ البَرَاجِمِ وَتَنْفُ الإِبْطِ وَحَلْقُ العَانَةِ وَانْتِقَاصُ المَاءِ» (٥).

(١) سورة المدثر: ٤

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء (٢٢٣) والدارمى فى الوضوء، وأحمد بن حنبل فى مسنده.

(٣) سورة المائدة: ٦.

(٤) سورة النساء: ٤٣.

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب الطهارة - باب خصال الفطرة (٢٦١).

## ٦. الأمر باعتزال النساء في الحيض؛

وقد ذكرت ذلك قبلاً، فحفاظاً على الصحة العامة أيضاً أمر المشرع باعتزال النساء في الحيض فالمرأة إبان الحيض تكون عرضة للإصابة بالعديد من الأمراض؛ وما ذلك إلا لضعف مقاومة المهبل آنذاك؛ إذ إن رحم المرأة يحتوى على بكتيريا عسوية تسمى *Dodderlein Bacill* تخمّر وتحول (الجليوكوجين) إلى حمض فتجعل محتويات المهبل حمضية تقاوم الإصابة بالأمراض الجرثومية ولكن في وقت الحيض وبسبب نزول الدم يصبح الوسط متعادلاً فلا يقاوم نمو الجراثيم الضارة، فالاتصال الجنسي في هذه الفترة وسيط لنقل الجراثيم الضارة والصديدية لتكاثر في المهبل وبالتأكيد يصاب الجهاز التناسلي للمرأة بالقروح والالتهابات المسببة للعقم، ويمتد أثرها الضار إلى الرجل أيضاً<sup>(١)</sup> وصدقت كلمات ربي:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ

وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

## ٧. الأمر بترك المعاصي؛

وحماية للأبدان وحفاظاً على الصحة العامة وقفت الشريعة المحكمة موقفاً حازماً إزاء مرتكبي الفاحشة فجعلت عليهم عقوبة

(١) الطب النبوي ج ٦ ص ٣٠، والطب في محراب الإيمان ج ١ ص ٧٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

معجّلة وأخرى مؤجّلة. المعجّلة ممثلة فى إقامة الحدّ عليهم، والمؤجّلة ممثلة فى غضب الله عليهم. فالمعلوم أن المعاصى تورث الأسقام والعلل التى تدمر الكيان المادى والروحى للإنسان؛ وهذا ما بينته الآية الكريمة؛ إذ يقول جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup> فلو تأملنا ما تعنيه الآية الكريمة لأدركنا إلى أىّ سبيل يُقاد الزناة؟! فهم إلى الهاوية يُساقون بل أضحت أمراض الزنا تهدد المجتمع الإنسانى وخصوصاً عند من تحلّلوا من الالتزام الدينى باسم الحرية. وكم كثرت هذه الأمراض وتعددت والتى منها - على سبيل المثال لا الحصر-: الزهرى والسيلان والقرحة الرخوة والقرحة الأكلة والتى منها ما يسبب الشلل العام والرباعى ومعظمها يؤدى إلى العقم أو تشوّه الأجنّة، وآخر أسقام العصاة من الزناة واللوطيين مرض نقص المناعة المعروف باسم «الإيدز».

\* \* \*

---

(١) سورة الإسراء: ٣٢.

### توجيهات الشريعة للحفاظ على الصحة النفسية للمرضى وتقبل أمر الله

ويشتمل على :

- ١- الإيمان بحكم الله القدرى .
- ٢- الصبر على البلاء .
- ٣- البدائل التعبدية (الرُّخَص المتاحة).

#### ١- الإيمان بحكم الله القدرى:

فإذا قُدِّرَ الابتلاء واشتدت وطأة الألم وأخذته سِنَّةٌ من الكآبة أو الإحباط والخوف فعليه أن يرقى بروحه فوق سقام البدن وآهات الألم، وأن يتعلق بواهب النعم ومنها العافية، ويوقن أن بالإيمان وبالإيمان وحده سيتمكن من اجتياز المحنة ويعلم أن الإيمان بحكم الله القدرى من أبجديات اليقين فيوقن يقيناً جازماً بأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله عليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . يقول الشاعر:

مَا قَدْ قَضَى يَا نَفْسُ فَاصْطَبِرِي لَهُ      وَلَكِ الْإِمَانُ مِنَ الذِّى لَمْ يُقَدَّرِ

وَتَبَيَّنِي مِنْ أَنْ قَدَرَكَ كَائِنٌ      يَجْرِي عَلَيْكَ حَدَرَاتِ أُمِّ لَمْ تَحْذَرِ  
 فلا يعترض على حكم الله فيحبط عمله، كما في قوله تعالى:  
 ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (١)، ولا يتعجب  
 لعلَّة والأولى أن يتعجب لطول أيام العافية. يقول العارف: تعجبين  
 لمرضى بل صحتي هي العجب. ولا يغترُّ بدوام أيام السلامة له أو  
 لغيره فالمرض واحد من رسل الموت للتنبية والتذكير. يقول الشاعر:

أَحْسَنْتَ ظَنَّنَكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ      وَلَمْ تَخَفْ مِنْ سُوءِ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ  
 وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَّرْتُ بِهَا      وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدْرُ

وليعلم المبتلى أنه لو قويت مشاهدته للأعراض من مغفرة وثواب  
 لسكن قلبه ونفسه وكلما اشتد في إدراك العوض تحمّل الألم بل بلغ  
 مبلغ استحلاء العذاب؛ لأنه سيؤجرُ على كل شوكة يُشاكها، ويشتد  
 الكرب إذا وهن الشعور بالثواب. وما عليه بعد الاطمئنان إلى حكم  
 الله إلا أن يكثر من الذكر والتسبيح والدعاء وأن يردد قوله تعالى على  
 لسان إبراهيم ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٢) قمة الأمان والأمان لمن  
 توكل عليه وأتاب ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وانشغل بالحق  
 ولم يشغله الباطل من جزع وحسرة فقرأ القرآن وعدّها فترة استجمام

(١) سورة محمد: ٩.

(٢) سورة الشعراء: ٨٠.

(٣) سورة التوبة: ١٤.

للروح واستجلاء للبصيرة حيث تنفصل فى وقت سقم البدن عن مشيمة الطبع كما تنفصل الأبدان عن مشيمة البطن . .

يقول تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي

الصُّدُورِ ﴾ (١).

## ٢- الصبر على البلاء:

وبعدما يهتدى المؤمن لخالقه ويؤمن أن الابتلاء أمر قدّره الله عليه تأتي المنحة العلوية وسيلة علاجية تهيمى النفس والروح لتقبل أمر الله والرضا بقضائه والصبر على بلائه كى يبلغ درجة المعية مع الله. يقول تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (٢) ويقول أيضاً:

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٣)

وفى الثواب جبر للقلوب المنكسرة فكل من ألمّ به عارض من صنوف الألم والحрман وصبر ولم يشك إلا الله وامثل لأمره تعالى فالله يحب أن نلجأ إليه كل حين بل لقد ذم من لا يلجأ إليه فى ملماته.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا

يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٤). إن كل من امثل لأمر الله بعد أخذه بالأسباب كان

من زمرة المبشرين برضوان الله وجنّاته؛ إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى

(١) سورة يونس: ٥٧.

(٢) سورة البقرة: ٤٥.

(٣) سورة الطور: ٤٨.

(٤) سورة المؤمنون: ٧٦.

الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾ (١) ويقول - كذلك -: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٢﴾ (٢) ويقول أيضاً: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٣﴾ (٣). ويقول طيب القلوب المصطفى عليه أفضل الصلوات وأجل التسليمات: «لا يزال المؤمن يُصيبه البلاءُ في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» (٤) فلو أن كل مُبتلى تأمل هذه الآيات المنجيات وامتل راضياً صابراً قانعاً فسيشعر حتماً بالطمأنينة والسكينة والرضا.

### ٣- البدائل المتعبد بها (الرُّخْص):

ورعاية لأحوال المرضى شرعت الرُّخْص في أداء التكليفات التعبدية كى لا تتضاعف المشقة والألم. . فشرع التيمم بديلاً عن الوضوء، وشرع الجلوس والنوم والإيماء بدلاً من القيام والركوع في الصلوات، وشرع الفطر في رمضان، والتعجيل بالرمى وعدم المبيت في الحج أو توكيل من يقوم بأداء هذه الفريضة بدلاً عنه، بل بلغت

(١) سورة الزمر: ١٠ .

(٢) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧ .

(٣) سورة الرعد: ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب المنافقين (٥٨) وأخرجه الترمذى في سننه - كتاب الزهد (٥٧) . وذكره ابن ماجه في سننه .

الشريعة الإسلامية شأنًا عظيمًا عندما راعت حال المريض المذنب الذى  
وجب عليه الجلد فقد رُخِّص للضارب المنفَّذ مراعاة آلة الضرب  
ونوعيتها ومناسبتها لحال المذنب فالمقصود التأديب لا إزهاق الروح،  
بل أوجبت الدية على من تسبب فى قتل الجانى المريض بأن استعمل  
آلة العقاب التى لا تليق بحالته المرضية.



### التداوى فى القرآن والسنة (العسل . الفصد . الحمامة)

لقد أرشدنا المشرع إلى بعض المعالجات ، وسأذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر فلقد أوجب الحلق على المَحْرَمِ برغم الإحرام الذى عدَّ الحلق من المحظورات ، وما ذلك إلا لاستفراغ الأذى المحتقن فى الرأس . وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (١) كذلك نُحَلَ الناسُ دواءً شافياً ممثلاً فى عسل النحل ؛ يقول تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة: ١٩٦ .

(٢) سورة النحل: ٦٨ ، ٦٩ .

ولقد أثبت العلم الحديث مدى فاعلية العسل فى علاج أمراض المعدة والقولون بل فى تطيب الجروح والحروق والعمليات الجراحية وأمراض العيون ولم تزل الاكتشافات المذهلة تتوالى حول المعالجة بالعسل.

وأيضاً أشار الرسول ﷺ إلى المعالجة بالحبة السوداء بقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ؛ فَإِنهَا تَشْفِي مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ، وَهُوَ الْمَوْتُ»<sup>(١)</sup> وهما هى الأبحاث الطبية تثبت مدى فاعلية الحبة السوداء وخصوصاً فى تقوية جهاز المناعة ومتى قوى جهاز المناعة تمكّن من مقاومة الجراثيم التى تسبب معظم الأمراض؛ لهذا قال الرسول ﷺ: «فإنها تشفى من كل داء».

كذلك أشار ﷺ إلى المعالجة بالفصد والحجامة. أما الحجامة (Cupping) فهى فصد قليل من الدم على سطح الجلد باستخدام كأس زجاجية خاصة وهى ما يطلق عليها اسم (كاسات الهواء) وفيها يقول رسول الله ﷺ: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَ: شَرِبَةَ عَسَلٍ وَشَرَطَةَ مِحْجَمٍ وَكَيْةَ نَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيْ»<sup>(٢)</sup> ويقول أيضاً: «خير

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الطب (٧)، ومسلم فى صحيحه - كتاب السلام (٨٨)، وابن ماجه فى سننه، والترمذى فى سننه، وأحمد بن حنبل فى مسنده.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الطب ج ١٠/١٣٦، ١٣٧، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الطب - باب الكى - حديث رقم ٣٤٩١.

دواء الحِجَامَةُ وَالْفَصْدُ. والحِجَامَةُ نوعان: حِجَامَةُ جَافَةٌ وحِجَامَةُ رَطْبَةٌ<sup>(١)</sup> وفي الصحيحين عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحِجَامَ أجره، وفي الصحيحين أيضاً عن حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ حجمه أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام وقال: «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحِجَامَةُ»<sup>(٢)</sup> ومما ذكره الترمذى من حديث ابن عباس أنه قال: قال نبي الله محمد ﷺ: «نِعْمَ العَبْدُ الحِجَامُ يَذْهَبُ بِالدَّمِّ وَيُخَفِّ الصُّلْبَ وَيَجْلُو البَصَرَ»<sup>(٣)</sup>. وللحِجَامَةُ فوائد؛ فالحِجَامَةُ الجَافَةُ تخفف الآلام الروماتيزمية وأوجاع الصدر حيث تنشط الدورة الدموية وتفيد حالات عسر البول Ahuria الناتجة عن التهاب الكلية. أما الحِجَامَةُ الرَطْبَةُ فتفيد في حالات هبوط القلب المصحوب بارتشاح في الرئتين وفي بعض أمراض القلب لتخفيف الاحتقان الدموى وأيضاً في حالات التهاب المفاصل. أما الفصد

---

(١) الحِجَامَةُ الجَافَةُ: يسخن الهواء بداخل الكأس فيتمدد بالحرارة وعند ملامسته للجلد يبرد الهواء فينكمش ويقل حجمه فيحدث فراغاً داخل الكأس يجذب الجلد إلى داخل الكأس وبه كمية من الدم. والحِجَامَةُ الرَطْبَةُ: تختلف عن الحِجَامَةُ الجَافَةَ بإحداثها جروحاً سطحية بالمشروط طول كل منها حوالى ٣ سم ثم توضع الكأس بنفس الطريقة السابقة فتمتص بعض الدم من مكان المرض وتستعمل بنفس الطريقة على ظهر القفص الصدرى.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب البيوع (باب ذكر الحِجَامِ)، وفى كتاب الطب (باب الحِجَامَةِ)، ومسلم فى كتاب المساقاة، والإمام أحمد فى مسنده.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ج ٤ / ٣٩١، وابن ماجه فى سننه ج ٢ / ١١٥١، وفى مسند عباد بن منصور: سبق بيان أنه ضعيف، وبهذا الإسناد هو فى المستدرک.

Veneseccion<sup>(١)</sup> فهو استنزاف دم لعلاج الحالات التالية: هبوط وظيفى فى البطن الأيسر بسبب تورم فى الرئتين مظهره عسر شديد فى التنفس، وضغط الدم الدماغى العالى، وازدياد عدد كرات الدم، والاحتقان الرئوى؛ لهذا قال الرسول ﷺ: «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْفَصْدُ»<sup>(٢)</sup>.



(١) يتم الفصد بواسطة إبرة واسعة القناة، ويؤخذ الدم من الوريد مباشرة وتراوح كمية الدم المفصود ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ سم<sup>٣</sup>، ويجب أن يتم هذا بأسرع ما يمكن، وفى حالات ازدياد عدد كرات الدم يتم فصد نصف لتر مرتين أسبوعياً حتى يعود معدل الدم إلى نسبه الطبيعية ثم يكرر مرة كل شهر بعد ذلك. أما فى حالات الاحتقان الرئوى فإن الفصد يستخلم لتقليل حجم الدم فى الدورة الدموية ولتقليل نسبة اللزوجة فيه.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى عن على، وذكره السيوطى فى الجامع، وأشار إليه الحسن فى فيض القدير ج ٣ ص ٤٩٠. وروى فى البخارى ومسلم دون لفظ الفصد. وانظر: الطب النبوى للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الخبلى الدمشقى المعروف بابن قيم الجوزية وعلّق عليه د. عبد المعطى أمين قلمجى ج ٦ ص ١٧٦.

### التداوى وأقوال الفقهاء فيه

#### الفقهاء حول حكم التداوى على أقوال:

\* قول راجح لجمهور الشافعية<sup>(١)</sup> مؤداه حمل التداوى على الاستحباب وقد استدلوا على رأيهم بحديث رسول الله ﷺ، حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»<sup>(٣)</sup>. وقوله أيضاً: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً جَهْلَهُ مَنْ جَهْلَهُ وَعَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ»<sup>(٤)</sup>. وقوله ﷺ لمن سأله عن التداوى:

(١) مغنى المحتاج ج ١ ص ٣٥٧، والمجموع شرح المهذب ج ٥ ص ٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ج ٣ / ٣٣٥. وفى نيل الأوطار للشوكانى ج ٩ ص ٩٣ وقال: فى إسناده إسماعيل بن عباس وفيه مقال.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التداوى ج ٧ ص ٢٢٢.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک ج ٤ / ١٩٦، وابن حبان فى صحيحه ج ٧ / ٦٢١، والهيثمى فى مجمع الزوائد وذكر أن فى سننه ثقات ٨٤ / ٥.

«نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ. قالوا: ما هو؟ قال: الهرم»<sup>(١)</sup>.

وسؤال أبي خزيمة للرسول ﷺ: «يا رسول الله أرأيت رقى نسترقئها ودواءً نتداوى به وتقاةً نتقيها. هل تردُّ من قَدَرِ الله شيئاً؟ قال: هي من قَدَرِ الله». وقول سعد بن أبي وقاص: «مرضتُ مرضاً شديداً فأتاني رسول الله ﷺ يعودُنِي فوضع يده بين ثديي حتى وجدتُ بردها على فؤادي فقال: إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْؤُودٌ (أى: أصابه داء في فؤاده). ائتِ الحارثَ بنَ كِلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ يُطَبِّبُ فليأخذُ سبعَ تمراتٍ من عَجوةِ المدينةِ، فليجأهنَّ بنواهنَّ ثم ليلدكَّ بهنَّ»<sup>(٢)</sup>.

\* وقول يوجب التداوى من العلل والأدواء وهو أحد أقوال الحنفية والحنابلة وهو قول ابن حزم<sup>(٣)</sup> فعندهم ترك التداوى عند خوف الهلاك حرام. هذا وقد استدلوا على قولهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله أيضاً: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ج ٦ ص ٢٣٩ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ج ٤ ص ٨٠٧ وقال: فيه قول.

(٣) الفتاوى الهندية ٥ / ٣٥٥. والملحى لابن حزم ج ٧ ص ٤١٨.

(٤) سورة النساء: ٢٩.

(٥) سورة البقرة: ١٩٥.

كما استدلوا بالحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ والدَّوَاءَ،  
وجعلَ لكلِّ داءٍ دواءً فَتَدَاوَوْا».

كما استدلوا أيضاً بقياس مؤداه أن التداوى إذا تعيّن وسيلةً  
للإبراء من المرض وَجَبَ التداوى قياساً على الأكل من الميتة  
للمضطر<sup>(١)</sup>. وقد ردّ على هذا الدليل بأن قياس التداوى على أكل  
الميتة قياس مع الفارق؛ ذلك لأن الإطعام موثوقٌ بانتفاع المضطر به  
محفوظة من الهلاك أما التداوى فلا يُجزم أو يُقطع بنفعه.

أما جمهور الحنفية<sup>(٢)</sup> فعندهم التداوى مباح إذا ما اعتقد أن  
الشافى هو الله وهو قول المالكية وما اختاره الحنابلة أيضاً.

وقد استدلوا على قولهم بحديث رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً»..

وبما روى عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: «حَجَمَ  
رسولَ الله ﷺ أبو طيبةَ فَأَمَرَ له بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ  
يخَفِّقُوا مِنْ خَرَاجِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) معنى المحتاج ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) الفتاوى الهندية ج ٥ ص ٢٥٤، وشرح الزرقانى على الموطأ ج ٤ ص ٣٢٩،  
وكشف القناع للبهوتى ج ٢ ص ٧٦.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٨ / ٣٦٨.

\* وقول يرى عدم جواز التداوى بالكلية بينما يرى آخرون جواز التداوى غير أن تركه أفضل. أما القول الأول فهو لغلاة التصوف فعندهم أن الرضا بالقضاء والقناعة بما نزل من بلاء من قبيل اليقين الثابت والرضا بما يرضى به الله؛ فهم لا يستدفعون البلاء إلا بالدعاء، وعندهم من لا يمرض أو يُتلى فهو فى حجب ستير عن محبة الله.

وقد استدلوا على قولهم بحرمة التداوى بأن الداء من باب قضاء الله وقدره وتمام الولاية لله فى الرضا بجميع ما نزل فلا يحق لمن نزل به ذلك أن يرفق بالتداوى<sup>(١)</sup>.

وقد رد النووى على هذا الدليل بقوله: إن كان الداء من قَدَرِ الله تعالى فإن التداوى كذلك من قَدَرِهِ سبحانه<sup>(٢)</sup>.

أما من يرى إباحة التداوى غير أن تركه أفضل تسليماً بقضاء الله وتوكلاً عليه فهم أكثر أهل الحب فى الله من المتصوفة وأهل العزائم ومنهم الغزالى، فعندهم أن ترك التداوى فى بعض الأمر يدل على قوة التوكل وشدة العزم. وفى ذلك يقول أحد أئمة الشافعية إن الناس صنفان:

- صنفٌ قَوِيٌّ تَوَكَّلَهُ، وهذا ترك التداوى له أفضل.

(١) المقدمات المهدات ج ٣ ص ٤٦٦.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ١٤ / ١١٢.

- صنف آخر ضعفت نفسه فنقد صبره فالتداوى لهذا الصنف أفضل.

وقد استدلوا على قولهم بجملة أدلة نذكر منها ما يلي (١):

ما جاء فى السنة المطهرة من قول رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون» (٢).

وما ذكر عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن امرأة أتت النبى ﷺ فقالت: إني أصرعُ وإني أتكشّف، فادعُ الله لى. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوتُ الله أن يُعافيك، فقالت: أصبرُ ولكننى أتكشّفُ فادعُ الله أن لا أتكشّفَ فدعا لها» (٣).

وما ذكر عن أبى ذر الغفارى أنه رمدت عيناه فقيل له: لو داويتهما؟ فقال: إني عنهما لمشغول. قيل: فلو سألت الله أن يعافيك. فقال: أسأله فيما هو أهم إلى منهما.

كما استدلوا بأنبياء الله الذين تركوا التداوى رضاً بما يرضى الله. واستدلوا بمعقول منه: أن المرض ترفعه أسباب كثيرة إذا لم يتعين دواء

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٢٨٦، وقوت القلوب لأبى طالب المكي ج ٢ ص ٢١، ٢٢.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما: البخارى ج ٧ ص ٢٣٠، ومسلم ج ٣ ص ٨٨.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ٧ ص ٢١١ وما بعدها.

لداء، وأن العديد من المرضى يتماثلون للشفاء بلا تداو وأنه إذا كان الشفاء والمرض قَدَرَيْنِ فَإِنَّ التداوى لا يفيد لأن قَدَرَ اللهُ لا يُرْفَع ولا يرد.

وقد اعترض على هذا القول من وجوه نذكر منها:

أن حديث «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب...» لا يدل على عدم جواز التداوى لأن المقصود ترك الرُقَى التى هى من كلام أهل الجاهلية لاحتمال أنها لغو واستعانة بغير الله أما الرُقَى الجائزة فكل ما كان بآيات القرآن الكريم والأذكار المعروفة.

ويردُ ابن حزم على أصحاب هذا القول فيقول: ليس فى خبر ابن عباس حمدٌ لترك التداوى أصلاً، ولا ذكر فيه للمنع منه، وفى أمره عليه السلام بالتداوى نهى عن تركه.

كما يردُ ابن القيم على من يقولون: إذا كان الشفاء والمرض قَدَرَيْنِ فلا يفيد التداوى مع القَدْرِ لأن قَدَرَ اللهُ لا يُرَدُّ، بقوله: إن هذا القول يترتب عليه أن لا يباشر أحدٌ سبباً من الأسباب التى تُجلب بها المنافع أو تُدفع بها المضارُّ لأن المنفعة والمضرة إن قُدَرَتَا لم يكن بدُّ من وقوعهما. وإن لم تُقَدَّرَا لم يكن سبيلٌ إلى وقوعهما؛ وفى ذلك خراب الدين والدنيا وفساد العالم، وهذا لا يقوله إلا دامنٌ للحق معاندٌ له فيذكر القَدَرَ ليدفعَ حُجَّةَ المحقِّ عليه<sup>(١)</sup>.

(١) زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٦٧.

ويردُّ الغزالي أيضاً بقوله: وإن كان فى ترك التداوى فضلٌ فلمَ لمَ يترك رسول الله ﷺ التداوى وهو أحقُّ الخلق بالفضل؟! (١).

### الرأى الراجح:

بعد عرض آراء الفقهاء يترجح لدينا رأى من يقول باستحباب التداوى على وجه العموم وذلك لقوة ما استدلوا به، ولوجوب التداوى إن تعيَّن الدواء لداء بعينه؛ وذلك لأن التداوى جاء بأمر علوى كما فى الآية الكريمة عن معجزة العسل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (٢) فهذه وصفة طيبة ربانية أثبت العلم الحديث مدى فاعليتها.

بيد أن أمراض البدن لا تأتى على هيئة واحدة فربما غابت حقيقة الداء عند تشخيصه أو اختلفت من شخص لآخر وربما كانت علة البدن فكرياً معتلاً وقلبٌ مريضٌ بالحسد والغيرة. فأى دواء ينفع؟! وربما كانت قوة الروح سبباً لعدم انسجام البدن فينجم المرض.. من هنا كان المريض دوماً فى حاجة إلى الطبيب الأكبر، ثم يأتى الطب بتوفيق الله وبقدر الله وتطبيياً أو الأخرى. وفى كل الأحوال قد أمرنا أن نأخذ بالأسباب، وقد أثنى أن المصطفى ﷺ قد احتجم وقال فى ذلك: «الشفاء فى ثلاث: شربة عسلٍ وشربةٍ محجمٍ وكية نارٍ وأنا أنهى أمتى عن الكى» وقوله ﷺ: «خيرُ دواءٍ الحِجامةُ والفصدُ».

\* \* \*

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٢٩١.

(٢) سورة النحل: ٦٩.